الإهداء

إلىٰ

روح والدي الحبيب

obeikandl.com

تقديم

بقدرما يمر الفضاء العالمي – بمستوياته المختلفة السياسات الخارجية والعلاقات الدولية والتفاعلات النظمية الإقليمية منها وعبر الإقليمية والعالمية- بتغيرات متواترة منذ نهاية الحرب الباردة والقطبية الثنائية، بقدر ما يمر التنظير لهذا الواقع بتغيرات متزامنة تتأثر به وتؤثر بدورها في هذا الواقع وتنعكس علىٰ كيفية قراءته وفهمه وتفسيره ومن ثم تغييره.

ومن المناطق النظرية المهمة التي شهدت تغيرات وتحولات مهمة: مفهوم «**القوة**»؛ سواء ما يتصل بطبيعة القوة أو هيكل توزيع القوة عالميا وإقليميا، أو عمليات إدارة سياسات القوىٰ (**صراعية أو تعاونية**). ومن ثم شهدنا صعودا لمفهوم القوة الناعمة ثم القوة الذكية، في مقابل ما عرفه من قبل مفهوم القوة الصلدة من ذيوع وانتشار في إطار السيادة والهيمنة السابقة للمنظور الواقعي بمفرده؛ حيث بدأت جدالات هذا المنظور مع منظورات أخرىٰ مقارنة أخذت في الظهور علىٰ ساحة العلم منذ منتصف السبعينيات، وكان مفهوم القوة من أهم أبعاد هذه الجدالات.

فلقد ارتبطت هذه الجدالات بتغيرات واضحة في توازنات القوىٰ العالمية وفي أجندة القضايا العالمية بل والأهم فيما تواجهه القوىٰ الكبرىٰ من تحديات عالمية فرضت عليها تكييف استراتيجياتها وسياساتها وأدواتها حتىٰ تتمكن من الحفاظ علىٰ تفوقها العالمي. ولذا لا عجب أن مفاهيم القوة الناعمة ثم القوة الذكية ظهرت علىٰ صعيد الأدبيات الأمريكية النظرية في نفس الوقت الذي أخذت تصعد فيه ، منذ أوائل التسعينيات أيضا مقولات الصراع بين الحضارات والثقافات والأديان، التي استدعت آليات جديدة لكسب العقول والقلوب، إلىٰ جانب آليات فرض الإرادة بالقوة، وجميعها آليات تنبني علىٰ مفاهيم القوة الذكية.

وبقدر ما فرضت هذه التغيرات النظرية والتطبيقية الاهتمام بارتباطها بتوجهات القوىٰ الكبرىٰ، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة تجاه الجنوب، وخاصة تجاه «**العالم الإسلامي**»، بقدر ما برزت بقوة مكانة مفاهيم القوة الناعمة والذكية في أساليب إدارة الحرب العالمية علىٰ الإرهاب بقيادة أمريكية؛ وهي الحرب التي وإن ارتكزت علىٰ أساليب القوة الصلدة لضرب ما سمته مراكز وقواعد الإرهاب بالقوة العسكرية في أماكن متفرقة من العالم

الإسلامي، بقدر ما استدعت أساليب أخرىٰ إما لتغيير ما في قلوب وعقول الشعوب المستهدفة باعتبارهم مصادر وجذورا للإرهاب، أو لتجميل صورة الحل الأمني العسكري الأمريكي الإرهابي ضد تلك الشعوب تحت ذرائع ثقافية وحضارية تخفىٰ حقيقة الأطماع الاستراتيجية السياسية منها والاقتصادية.

وفي المقابل ظل التساؤل: هل القوة الناعمة والقوة الذكية قاصرة علىٰ استخدامات القوىٰ الكبرىٰ والغربية فقط؟ حيث إن الأدبيات الخاصة بتطبيقات هذه القوة امتدت بالأساس إلىٰ نماذج أمريكية وأوربية أخرىٰ وخاصة بالناتو.

ولم تكن هذه النماذج قادرة علىٰ أن تخفي أن إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية –بعد نهاية الحرب الباردة– يجري علىٰ قدم وساق عبر أقاليم العالم، سواء بقيادات إقليمية أو بتدخلات خارجية واضحة.

وتظل المنطقة العربية وجوارها الحضاري التركي والإيراني في قلب إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية وامتداداتها الخارجية منذ نهاية الحرب الباردة. فلقد تنافس علىٰ المنطقة مشروعان متقابلان: التركي والإيراني، ولجأ كل منهما إلىٰ أدوات القوة الناعمة، كل وفق استراتيجية نموذجه وسياساته. وكان للمشروع الإيراني لدعم النفوذ في المنطقة العربية ركائز أساسية؛ منها الطوائف الشيعية وخاصة في لبنان. ولم تحز أدوات القوة الناعمة لهذا المشروع قدر الاهتمام الذي حازته أدوات القوة الصلدة له وعلىٰ رأسها البرنامج النووي.

ومن ثم فإن الكتاب الذي أشرف بتقديمه هو كتاب تنبع أهميته من اعتبارات أكاديمية واعتبارات عملية. **فمن ناحية** يعكس موضوع الكتاب اهتمام الجيل الجديد من باحثي العلوم السياسية وأعضاء الهيئة المعاونة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بصفة خاصة، بالجديد في علم العلاقات الدولية ولكن علىٰ النحو الذي يربطه بقضايا المنطقة وتحدياتها، وعلىٰ نحو يجسد مفهوم العلم النافع، العلم الذي لا يختنق بالتجريدات النظرية ولكن يحمل هموم الواقع وكيفية إدارته، العلم الذي لا يغرق في تفاصيل الجاري من الأمور فيظل قادرا علىٰ تقديم الرؤية الكلية.

ومن ناحية أخرىٰ يمثل المشروع الإيراني للنفوذ في المنطقة تحديا حضاريا من أكثر من زاوية. أولها– اختبار مخاطر الاختلافات المذهبية السنية الشيعية، علىٰ اعتبار أن أحد أهم مداخل هذا المشروع للمنطقة هو «الشيعة» مرتدية أغطية أخرىٰ. وثاني هذه التحديات: أن

المشروع الإيراني قدم نفسه باعتباره مشروعا ثوريا تحريريا مستقلا يواجه المشروع الأمريكي الصهيوني. وهذا الأمر الذي كشف التناقض مع مواقف مشروعات عربية تحمل نفس التوجهات الثورية التحررية الاستقلالية إلا أنها ترفع تعصبات قومية: العروبة- الفارسية.

ومن ناحية ثالثة: مفاهيم القوة الجديدة –الناعمة والذكية- ليست مفاهيم غربية حضارية فقط. فهي وإن عكست في طبيعتها الانجلو ساكسونية اهتماما متزايدا بوزن الأبعاد المعيارية والقيمية مثل الأفكار والثقافة والهوية إلا أنها تظل مغلفة بمعاني الصراع والاستعلاء. فالقوة الناعمة في التأصيل الغربي ليست من أجل بناء تعددية تنافسية بين النماذج الحضارية تتجاوز قسر وقهر القوة الصلدة، ولكنها سبيل من سبل خدمة وتدعيم مخرجات هذه القوة الصلدة الغربية، وفق النموذج المعرفي الحداثي العلماني؛ ومن هنا تتضح دواعي تأصيل القوة الذكية بعد القوة الناعمة. والأهم هو توظيف هذه القوة في مواجهة الشعوب أو الدول المختلفة حضاريا وغير المنتمية لنفس التقاليد الحضارية، من أجل تأكيد الهيمنة الحضارية الغربية وعالميتها.

وفي المقابل فإن للأبعاد المعيارية القيمية مكانة متصدرة ولكن علىٰ نحو مختلف في منظورات حضارية مقارنة مع المنظورات الحضارية الغربية الواقعية العلمانية بامتياز. ومن هنا فإن استخدامات ما يسمىٰ بالقوة الناعمة هو من طبائع الأمور وفق هذه المنظورات، وخاصة المنظور الحضاري الإسلامي للعلاقات الدولية، حيث إن مفهوم القوة المقارن من هذا المنظور، ينطلق من المادية الأسس القيمية والمعيارية سواء عند نقد مفاهيم القوة الواقعية أو عند بناء مفهوم جديد للقوة ينطوي علىٰ قدر كبير من التوازن بين الأبعاد القيمية والأبعاد المادية للقوة. كما يعكس من ناحية أخرىٰ قدرا كبيرا من التفاعل بينها وعلىٰ نحو يتجاوز التضاد. كما تحدث هذه القوة تأثيراتها من ناحية ثالثة في إطار من التدافع التداولي بين الأمم بعيدا عن عمليات الصراع الاستئصالي.

ولذا ليس من الغريب أن تكون ممارسات الدول الإسلامية تجاه بعضها البعض مرتكزة، بدرجة واضحة، إلىٰ هذه الأنماط من القوة. ورغم ما يبدو وحتىٰ الآن، من عجز هذه الدول عن بناء خبرة تضامنية تعاونية، إن لم يكن وحدوية –قوية فإن ذلك لا يرجع إلىٰ فقدانها المشترك في عناصر القوة المعنوية والقيمية والرمزية (**التاريخ واللغة والدين والثقافة والحضارة**) بقدر ما يرجع إلىٰ الاختلافات الهيكلية المادية والتدخلات الخارجية والتي هي جزء كبير من الإرث الاستعماري. وجميع هذه العوامل تؤسس فجوة بين واقع هذه

الشعوب وبين مفهوم القوة من منظور حضاري إسلامي.

ومن ناحية رابعة: إذا لم يكن بمقدور الدول العربية والإسلامية دعم قدراتها الجماعية علىٰ صعيد السياسات العليا **(الاقتصادية والعسكرية)** فإنه بمقدورها أن تدعم هذه القدرات علىٰ صعيد «**السياسات الدنيا**» وما يرتبط بها من عناصر القوة الناعمة. وحينئذ لن يكون علىٰ هذه الدول –فيما بينها– أن تسوِّق لنموذج معرفي حضاري مغاير أو أن تستبدل نموذجا حضاريا قائما، ولكن سيكون عليها تدعيم أواصر وعرىٰ المشترك من شعوب الأمة: عقلًا وعقيدة ووجدانا وروحا، ليس كغاية في حد ذاتها، حيث تقوم علىٰ ذلك أجهزة ومؤسسات متنوعة دينية وشعبية، ولكن كوسيلة تنطلق منها وتدعمها جهود المؤسسات السياسية والاقتصادية للسياسات الداخلية والخارجية. فالمشترك القيمي بين شعوب الأمة **(ثنائيا أو اجتماعيا)** قادر من خلال تحفيز التعاون المشترك علىٰ دعم تحقيق المصالح المادية.

وإذا كان التحليل العلمي المنظم، نظريا وتطبيقيا في هذا الكتاب يبرهن هذه الأبعاد الأربعة المشار إليها عاليا عن أهمية موضوعه ودلالاته الممتدة، إلا أنه لابد وأن يثير الآن – علىٰ ضوء سياسات إيران وحزب الله التدخلية في العراق والمعادية للثورة السورية– الكثير من الانتقادات أو الاتهامات للاهتمام بنموذج امتداد النفوذ الإيراني للمنطقة من خلال أدوات القوة الناعمة لسياستها تجاه لبنان ويقع في قلب هذه السياسات حزب الله حليف إيران في سياساته تجاه مقاومة إسرائيل ومساندة قضية المقاومة الفلسطينية المسلحة، والتي سبق أن حازت رضاءً عربيا وفي هذا الصدد يجب الإشارة إلىٰ الأمرين التاليين:

من ناحية: يقدم الكتاب تحليلًا علميًا منظمًا نظريًا تطبيقيا يحقق نقلة في تطبيق مفهوم القوة الذكية علىٰ دراسة حالات من القوىٰ الإقليمية المتوسطة مثل إيران، وتجاه حالة من الحالات التي تبين أيضًا أن تطبيقات القوة الناعمة والذكية لا تكون فقط بين شعوب دول مختلفة ثقافيًا أو أيديولوجيًا، ولكن أيضًا تستخدم بين شعوب ذات مشترك ثقافي. ومن ثم يصبح للقوة الناعمة تأثيرات **(تضامنية تعاونية)** تختلف عن نظائرها بين دول كبرىٰ غربية وشعوب عربية وإسلامية.

الأمر الثاني: إن التحليل العلمي المنظم لدراسة أي موضوع يقوم علىٰ منهاجية واضحة، يتم تقدير نتائجها وفق طبيعتها. وهذه العملية لا تنفي التحيزات المعرفية والسياسية. والدراسة التي يقدمها هذا الكتاب تشخص المواقف الإيرانية وتفسرها، سواء قبلنا بنتائجها ودلالاتها أم لا، بطريقة منظمة. ومما لا شك فيه أن بعضا من جوانبها يطرح التساؤلات

الناقدة أو المهاجمة لدوافع السياسة الإيرانية الحقيقية وماهية أدواتها وغاياتها المرجوة وآثارها علىٰ النفوذ الإيراني في المنطقة علىٰ حساب مشروعات عربية مفتقدة حتىٰ الآن.

ويسعدني تقديم هذا الكتاب للأستاذة سماح عبد الصبور ويضم أطروحتها لماجستير العلوم السياسية التي سعدت بالإشراف عليها. فإن سماح عبد الصبور المدرس المساعد بقسم العلوم السياسية تمثل نموذج الباحثة الواعدة المأخوذة بالتأصيلات النظرية والجديد في العلم، ولكن دون انفصال عن احتياجات دراسة واقعها العربي والإسلامي بأسلوب علمي منظم تفتقد إليه الساحة السياسية المصرية والعربية، وهي تموج بالتعميمات والتأويلات المحملة بالتعصب السياسي.

والحمد لله

10 **مايو** 2014 **أ/ د. نادية مصطفى**
أستاذ العلاقات الدولية
ورئيس قسم العلوم السياسية الأسبق

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

يعد مفهوم القوة مفهومًا محوريًّا في العلاقات الدولية، إلا أنه طرأت على المفهوم العديد من التحولات التي عكست تطور واقع العلاقات الدولية ومحاولة العلم التنظير لهذا الواقع، ولقد اختلفت منظورات العلاقات الدولية في تناولها لمفهوم القوة، وقد جاء المنظور الواقعي بروافده المختلفة للتأكيد على أهمية القوة العسكرية بالأساس في العلاقات الدولية، حيث بنيت العلاقات بين الدول والتي مثلت الفواعل الرئيسية في العلاقات الدولية منذ بدايتها على القوة العسكرية.

ومع تزايد التسلح والحروب تزايدت المخاطر المترتبة على استخدام القوة العسكرية وخاصة مع ظهور أسلحة الدمار الشامل وانتشارها،وفى ظل المخاطر المترتبة على استخدام القوة العسكرية ووجود رأى عام عالمي رافض لاستخدام ذلك النوع من القوة تراجع استخدام القوة العسكرية،وأصبح الاهتمام بين الدول ليس باحتلال إقليم دولة ما بل ما يمكن فعله فوق ذلك الإقليم من سياسات تجارية وبيئية واقتصادية وثقافية[1]،ولقد ظهرت أبعاد أخرى للصراع في ظل الثورة التكنولوجية مثل الهجوم الإلكتروني " Cyber Attacks"،فأصبح بإمكان الفاعل الدولي تدمير أهدافه بدون جيوش نظامية وحروب، وأصبح المستهدف الآن مجتمعات العدو وإرادتها السياسية[2].

وفي ضوء المراجعات التي قامت بها الدول لسياستها الخارجية وخاصة الدول الكبرى التي تسعى للحفاظ على توازن واستقرار النظام العالمي لصالح استمرار هيمنة تلك الدول، وجد صانعو قرار السياسة الخارجية أنه من الصعب الفصل بين أدوات القوة،فالقوة العسكرية والاقتصادية قد تصبح أحد مصادر قوة الدولة الناعمة لأنها تجذب الآخرين،و من الصعب أن تعمل القوة الصلبة وحدها في ظل تزايد الخسائر الناجمة من الحروب، وعلى الناحية الأخرى فمن الصعب أيضا أن تعمل القوة الناعمة وحدها دون وجود قوة عسكرية واقتصادية تدعم مكانة الدولة عالميًا، الأمر الذي أدى إلى ظهور «**القوة الذكية في**

(1) John Orme, The Utility of Force In a World of Scarcity, **International Security** , Vol: 22,No 3,Winter 1997-1998,PP 138-141.

(2) Joseph Nye, Is Military Power Becoming Obsolete, **Korea Times**, 13-1-2010.

السياسة الخارجية » وهيٰ استراتيجية متكاملة تسعيٰ إليٰ الجمع مابين القوة الصلبة والقوة الناعمة.

ولبناء القوة الذكية للدولة لا بد من الأخذ في الاعتبار الهدف الذي يتجه الفاعل الدولي إليٰ ممارسة القوة نحوه، وطبيعته الداخلية،وحدوده وسياقه، و كذلك المعرفة الذاتية بالأهداف المبتغاة من وراء القوة الذكية،والإمكانات المتاحة لديٰ الفاعل الدولي،وهل تستطيع تلك الإمكانات تحقيق الأهداف، ويأتي ذلك في إطار مراعاة السياق الإقليمي والعالمي الذي تمارس فيه القوة بأدواتها المختلفة،حيث إن ذلك السياق يبرز مجموعة من التحديات التي توضع علىٰ استخدام تلك القوة ويختلف ذلك من سياق إليٰ آخر،ويضاف إليٰ ذلك الأدوات التي سيتم توظيفها،وكيف وأين ومتيٰ يتم توظيفها، وهل يتم توظيف تلك الأدوات منفردة أم مجتمعة، وأي الأدوات أفضل تحت أي الظروف، وكذلك المؤسسات التي تساهم في ممارسة القوة الذكية، فالقوة الذكية تحتاج إليٰ مؤسسات متوازنة جيدة التمويل والإعداد، وأن يكون هناك نوع من التعاون والتنسيق بين مؤسسات القوة الناعمة والقوة الصلبة، لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة[1]

وقد برز استخدام القوة الذكية في السياسات الخارجية للدول التي اتجهت للتأكيد علىٰ القوة العسكرية واستمرار حالات التسلح، مع إدماج تلك القوة بأدوات ناعمة أخرىٰ غير العسكرية، وقد اتضح ذلك في تحركات القوىٰ الكبرىٰ مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تعد ترتكز سياستها الخارجية علىٰ القوة العسكرية فقط، بل ظهرت أدوات القوة الناعمة الأمريكية علىٰ الساحة الدولية، وكذلك الصين التي صعدت كقوة اقتصادية مع الارتفاع في نفقات التسلح الصينية من جانب ووجود برامج وتحركات ثقافية من جانب آخر ، كما برز الاتحاد الأوربي علىٰ الساحة الدولية كقوة مؤثرة اقتصادياً وثقافياً.

وعلىٰ المستوىٰ الإقليمي، برزت إيران كقوة إقليمية تسعيٰ إليٰ لعب دور ريادي في المنطقة. فإيران بجانب تأكيدها علىٰ أهمية القوة العسكرية واستمرارها في برنامجها النووي مع زيادة قدراتها العسكرية رغم الضغوط الدولية، فهناك استراتيجية إيرانية واضحة تؤكد علىٰ القوة الناعمة في السياسة الخارجية، فقد أكدت الثورة الإيرانية منذ قيامها علىٰ

(1) Ernest J Wilson, **Hard power-Soft power-Smart power**, USA: SAGE, 2008 , pp116-118.

أهمية الدور الإيراني في الدفاع عن حقوق الدول المستضعفة وضرورة نشر النموذج الإيراني باعتباره نموذج قدوة للدول الإسلامية، والتأكيد علىٰ أهمية القضية الفلسطينية وأهمية وجود مشروع مقاومة في المنطقة للتدخلات الغربية تقوده إيران.

ولقد تجاوزت الاستراتيجية الإيرانية دول المنطقة نحو دعم التحالف مع دول القارة الإفريقية ودول أمريكا اللاتينية،وذلك بجانب تدعيم علاقاتها مع أقطاب عالمية صاعدة علىٰ رأسها الصين وروسيا،ولقد لعبت الدبلوماسية الإيرانية دورًا كبيرًا في دعم تحركات السياسة الخارجية الإيرانية.

وتسعىٰ هذه الدراسة إلىٰ دراسة القوة الذكية كمفهوم برز في حقل العلاقات الدولية. وحيث أن تطبيقات المفهوم تناولت بالأساس الدول الكبرىٰ، فإن الدراسة تسعىٰ إلىٰ تطبيق المفهوم علىٰ حالة فاعل إقليمي وهىٰ الحالة الإيرانية،وذلك بالتطبيق علىٰ التحركات الإيرانية تجاه لبنان خلال فترة الدراسة .

وتعد السياسة الإيرانية تجاه لبنان من أبرز ملامح القوة الذكية الإيرانية، حيث تتدخل إيران لدعم حزب الله اللبناني من ناحية،والتحرك بأدوات مختلفة للقوة نحو الدولة اللبنانية من ناحية أخرىٰ،ولقد برزت ملامح القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان عامة وحزب الله خاصة مع وصول التيار المحافظ بقيادة الرئيس أحمدي نجاد إلىٰ سدة الحكم في إيران عام 2005،حيث تعددت أدوات القوة الإيرانية في التحرك نحو لبنان من أدوات عسكرية وثقافية وسياسية، ويأتي ذلك في إطار قضية أكبر وهىٰ قضية دعم محور المقاومة في المنطقة في إطار مشروع المقاومة الذي تقوده إيران.

ومن هنا تأتي أهمية اختيار الحالة اللبنانية لدراسة القوة الذكية في السياسة الخارجية الإيرانية خاصة في ظل وجود المشترك الثقافي الشيعي.

وفي ضوء ما سبق تسعىٰ الدراسة للإجابة علىٰ تساؤل بحثي رئيس وهو :

لماذا برز مفهوم القوة الذكية في العلاقات الدولية؟ وما هي أبعاد القوة الذكية وأهميتها بالمقارنة بالقوة الناعمة والقوة الصلبة ؟ ولماذا اتجهت إيران إلىٰ لبنان بأدوات القوة الذكية؟ ولماذا تعد الحالة اللبنانية أكثر ملاءمةً لتحركات القوة الذكية الإيرانية ؟

ويتضمن السؤال البحثي الرئيس للدراسة مجموعات من التساؤلات الفرعية تدور حول :

أ- كيف اختلفت منظورات العلاقات الدولية في رؤيتها لمفهوم القوة في السياسة الخارجية، أي كيف تطور مفهوم القوة من منظورات مقارنة ؟

- لماذا برز مفهوم القوة الذكية في دراسات السياسة الخارجية؟ وما هي أبعاد المفهوم، وأهميته مقارنةً بأنواع القوة الأخرىٰ ؟
- ما هو وضع هذا المفهوم من سياسة القوىٰ الإقليمية مقارنة بالقوىٰ الكبرىٰ؟ وهل تتوزع في الحالة الواحدة، القوة الصلبة والقوة الناعمة، بين فواعل مختلفة رسمية وغير رسمية ؟

ب – لماذا استطاعت إيران كقوة إقليمية توظيف القوة الذكية في سياستها الخارجية؟ وما هي العوامل والإمكانات الإيرانية التي دعمت استخدام إيران للقوة الذكية في تحركاتها كقوة إقليمية ؟

ج – لماذا اتجهت إيران إلىٰ لبنان بأدوات القوة الذكية؟ وكيف ؟

- كيف شكلت المساعدات العسكرية والإعلامية والسياسية الإيرانية لحزب الله اللبناني دورًا في منظومة القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان؟
- كيف لعب العامل الثقافي والديني والمذهبي دورًا في تشكيل توجهات القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان في ظل التوافق المذهبي بين إيران وبعض الطوائف اللبنانية ؟
- هل اقتصرت القوة الذكية الإيرانية علىٰ حزب الله اللبناني ؟

د – هل أدىٰ استخدام القوة الذكية في السياسة الخارجية الإيرانية إلىٰ تحقيق أهداف السياسة الخارجية، وما مدىٰ فاعلية ذلك ؟

وفي ضوء مراجعة الأدبيات التي درست موضوع القوة اتضح أنها دارت حول أربعة مسارات في دراسة القوة :

المسار الأول ركز علىٰ القوة العسكرية للدولة ومحدداتها الداخلية والخارجية في ظل التأكيد علىٰ أهمية المنظور الواقعي في تناول واقع العلاقات الدولية،جاءت تلك الدراسات لتناول القوة التقليدية من حيث قياس المقدرات العسكرية والنووية،باعتبار أن البعد العسكري لازال ذا أهمية كبيرة في تحركات الدول علىٰ المستويات الدولية والإقليمية

المسار الثاني لدراسات القوة ركز علىٰ القوة الاقتصادية ، وذلك في ظل التحولات التي تحدث في النظام العالمي، وفقدان بعض الدول المهيمنة لبعض أوجه قوتها مع وجود دول أخرىٰ صاعدة عالميًا بأوجه غير تقليدية للقوة مثل الصين.

المسار الثالث درس الأبعاد الناعمة للقوة ويعود السبق في هذا إلىٰ جوزيف ناي الذي

دشن مفهوم القوة الناعمة، وعرفها بأنها القدرة علىٰ الحصول علىٰ ما تريد من الآخرين بالإقناع اعتمادًا علىٰ القيم السياسية والثقافية والقدرات الإعلامية والتبادل العلمي والفكري، ولقد عدَد ناي من أدوات القوة الناعمة الأمريكية مقارنة بغيرها،حيث إنها أكثر دول العالم جذبًا للهجرة ومقصدًا للدارسين من بلدان العالم المختلفة،وتمتلك قدرات إعلامية كبيرة ولها دبلوماسية شعبية قوية في سياستها الخارجية.

المسار الرابع : الدراسات التي طبقت مفهوم القوة الذكية علىٰ السياسات الخارجية للدول في ظل ارتفاع تكلفة القوة العسكرية من ناحية وعدم جدوىٰ القوة الناعمة منفردة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية من ناحية أخرىٰ ،وهي دراسات حديثة ، وركزت بالأساس علىٰ قوة الأقطاب العالمية وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي.

وتأتي أهمية الدراسة من أن تطبيقات القوة الذكية ارتبطت بالدول الكبرىٰ ومراجعة سياستها الخارجية في إطار حفظ قيم التوازن والاستقرار في النظام العالمي، وكذلك في إطار صعود بعض الأقطاب العالمية، إلا أن تطبيق المفهوم في الدراسة يتطرق إلىٰ حالة فاعل إقليمي وليس عالمي، وهل تستطيع تلك الفواعل الإقليمية في تحركاتها الخارجية تطبيق القوة الذكية سعيًا نحو إعادة تشكيل النظم الإقليمية ؟.

و تبرز الدراسة موضع الفاعلين من غير الدول في السياسات الخارجية لقوة إقليمية، مع بروز أهمية تلك الفواعل في واقع العلاقات الدولية وذلك من حيث التطرق إلىٰ حالة حزب الله اللبناني،وكيف استطاعت إيران أن تجعل حزب الله حجر الزاوية في منظومة القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان.

وتمتد الدراسة من 2005 حتىٰ 2013 و ذلك تزامنًا مع عودة التيار المحافظ إلىٰ سدة الحكم في إيران بانتخاب أحمدي نجاد رئيسًا ، حيث جدد ذلك التيار سياسات الثورة وإعادة إحياء مبادئ الخميني في تصدير النموذج الإيراني ودعم حركات المقاومة، والتركيز علىٰ استقلال إيران في سياستها الخارجية، وهو ما ينعكس علىٰ القوة الذكية في سياسة إيران الخارجية بوجه عام وتجاه لبنان بوجه خاص،كما أن الإدارة المحافظة في إيران ظلت متمسكة بالبرنامج النووي الإيراني كقوة صلدة لإيران تضمن استقلالها في المجال العسكري والنووي، مع دعم القوة الثقافية الإيرانية ووضع خطط وبرامج وسياسات ثقافية واضحة في السياسة الخارجية، وكذلك تصدير النموذج الإيراني إلىٰ الدول المجاورة عبر وسائل عدة.

وقد ازدادت الضغوط الدولية علىٰ إيران وحلفائها داخل لبنان منذ عام 2005 وعلىٰ رأسهم حزب الله اللبناني بعد مقتل رئيس الوزراء اللبناني السيد/ رفيق الحريري، كما اتجهت إيران لدعم تواجدها علىٰ الساحة اللبنانية بعد الانسحاب السوري والضغوط الدولية لنزع سلاح حزب الله اللبناني،الأمر الذي أدىٰ بإيران إلىٰ دعم تحركاتها بأدوات القوة المختلفة تجاه لبنان.

وتتبنىٰ الدراسة منهج توصل إليه عدد من الباحثين في مؤسسة RAND البحثية الأمريكية التي نشرت تقريرًا يتحدث عن دراسة قوة الدولة علىٰ ثلاث مراحل يتم التركيز فيها ليس علىٰ ما تمتلكه الدولة من الموارد فقط بل علىٰ إمكانية تحويل تلك الموارد لإمكانات ملموسة بل وكيف تصب نتائج ذلك في تحقيق أهداف السياسة الخارجية، وهو منهج يسعىٰ لدراسة قوة الدولة عبر دراسة تأثير استخدام تلك القوة علىٰ تحقيق أهداف السياسة الخارجية،اعتمادا علىٰ ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولىٰ: الموارد والإمكانات المتاحة للدولة power In–Being :

ويقصد بتلك المرحلة موارد وإمكانات الدولة، من الموارد التكنولوجية، والموارد البشرية كالتعليم والمتعلمين، الموارد المالية، والموارد الطبيعية. أي التطرق إلىٰ السكان والاقتصاد والجغرافيا والموارد الثقافية والبشرية لدىٰ الدولة وقدراتها المختلفة .

وبالتالي يتم التطرق إلىٰ إمكانات الدولة الإيرانية،والتي لا ترتكز فقط علىٰ الإمكانات الملموسة للدولة،ولكن تضم أيضًا الأبعاد الثقافية للدولة وقدراتها الإعلامية والدبلوماسية، وذلك كإطار عام للتعرف علىٰ إمكانات الدولة الإيرانية التي ساعدت علىٰ خلق قوة ذكية إيرانية.

المرحلة الثانية: كيف استطاعت الدولة تحويل تلك الموارد إلىٰ عناصر ملموسة للقوة Conversion process" " :

وذلك بدراسة قوة الدولة العسكرية والاقتصادية، ومؤسسات الدولة، والقيم الثقافية، ورأس المال الاجتماعي، وكذلك التطرق إلىٰ دراسة القيود الخارجية علىٰ الدولة في محيطها الدولي والإقليمي،وكيف استطاعت وضع أهدافها وتحقيقها في ظل تلك الضغوط .

ويتم توظيف تلك المرحلة لدراسة قدرات الدولة الإيرانية في تحويل الإمكانات السابقة إلىٰ قدرات ملموسة (**قوة صلبة**) وقوة ناعمة غير ملموسة ،عبر دراسة المؤشرات التي تتضح في الحالة الإيرانية، وعلىٰ الرغم من التركيز عليها في إطار عام، إلا إنَّه سيتم التركيز

علىٰ تحويل الإمكانات الإيرانية لقوة ذكية صلبة وناعمة تجاه حالة الدراسة، وكيف استطاعت إيران التحرك نحو لبنان علىٰ الأبعاد العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية بأدوات القوة المختلفة والتي تصب في اتجاه القوة الذكية لإيران في سياستها تجاه لبنان.

المرحلة الثالثة : كيف استطاعت نواتج استخدام تلك العناصر من القوة أن تحقق أهداف السياسة الخارجية للدولة المعنية The outcomes،وهي المرحلة التي يهتم بها صانع القرار[1].

وتوظف تلك المرحلة في دراسة مخرجات القوة الذكية الإيرانية التي تم توجيهها تجاه لبنان، ومدىٰ قدرتها علىٰ تحقيق أهداف السياسة الخارجية في موضوعات مثل توسيع الدور الإيراني الإقليمي، ودعم قضايا المقاومة، ودعم المشروع الشرق أوسطىٰ الإسلامي الذي دعت إليه إيران، ودعم حلفاء إيران في لبنان في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية الإقليمية والدولية.

ويسعىٰ الباحث إلىٰ دراسة القوة الذكية لإيران عبر المراحل الثلاث السابقة، وفيما يخص القوة الصلبة والتي تمثل العناصر الملموسة فإنه من السهل معرفة مؤشراتها، أما العناصر غير الملموسة والتي تدخل بالأساس في إطار القوة الناعمة للدولة ، فقد توصلت دراسة بريطانية إلىٰ وضع مقاييس ومؤشرات لقياس القوة الناعمة للدولة،تحدث فيها الباحثون عن خمسة أبعاد للقوة الناعمة للدولة وهىٰ :

1- **الثقافة** : ويقصد بها قدرة الدولة علىٰ دعم الآخرين لثقافتها، ويقاس ذلك عبر عدد من المؤشرات مثل التبادل الطلابي والإعلام الخارجي للدولة ولغة الدولة وانتشارها في الخارج، والمؤسسات الثقافية التابعة لإيران في الخارج ،والمساهمة في المساعدات الخارجية.

2- **الدبلوماسية**: وتقاس عبر قدرة الدولة الدبلوماسية، وعدد بعثاتها في الخارج، وعدد اللغات التي يتحدث بها قادة الدولة، والدبلوماسية الشعبية للدولة.

3- **التعليم**: عدد المراكز البحثية، والجامعات والمدارس، وجودة التعليم، وعدد الطلاب الأجانب في الدولة.

(1) Gregory F. Treverton and Seth G. Jones, **Measuring National power**, USA: RAND Corporation, 2005 ,pp 1-5.

4- **الحكومة**: درجة الثقة في الحكومة وشعبيتها، والحكم الرشيد في الدولة، والحريات المتاحة، ومدىٰ رضاء المواطنين عن أوضاعهم.

5- **الاقتصاد والعمل** :والاستثمارات الأجنبية للدولة وعلاقاتها الاقتصادية، ومستويات الشفافية والفساد داخل الدولة[1].

وتسعىٰ الدراسة إلىٰ تطبيق منهج قياس القوة الذكية عبر تحقيق أهداف السياسة الخارجية علىٰ حالة الدراسة بما يتفق مع خصوصية إيران في تحركاتها الخارجية تجاه لبنان عبر أدوات مختلفة للقوة في التعامل مع لبنان علىٰ المستوىٰ الرسمي وغير الرسمي عبر التدخل بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية والثقافية .

وبالتالي سوف يتم تقسيم الدراسة إلىٰ جزئين

الجزء الأول ويضم الفصل الأول الذي يتناول الإطار النظري الخاص بتطور مفهوم القوة من القوة الصلبة إلىٰ القوة الناعمة وصولا إلىٰ القوة الذكية وأسباب ظهورها وأهميتها في السياسة الخارجية للدول .

الجزء الثاني ويضم ثلاثة فصول وهو الإطار التطبيقي للدراسة ويتناول القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان من 2005-2013 مرورا بدراسة مقومات القوة الذكية الإيرانية، وإمكانات إيران الملموسة من موارد القوة الصلبة والإمكانات غير الملموسة الثقافية والإعلامية والسياسية والحضارية،ثم أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان منذ عام 2005 سواء أدوات القوة الناعمة أو الصلبة، وكيف تم توظيف كليهما في إطار القوة الذكية، ودور حزب الله اللبناني في منظومة القوة الذكية الإيرانية، وطبيعة التحركات الإيرانية تجاه حزب الله ودور المشترك الشيعي في ذلك وصولا إلىٰ مخرجات القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان، ومردودها في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان، ومردودها أيضا في دعم النفوذ الإيراني علىٰ المستوىٰ الإقليمي والعالمي .

❊ ❊ ❊

(1) Jonathan Mc Clory ,The New Persuaders :An International Ranking of Soft Power, Institute for Government,2010,available at: **http://www.instituteforgovernment.org.uk/pdfs/new_persuaders_soft_power.pdf**

obeikandl.com